السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 22 أيار 2014 ـ الموافق 23 رجب 1435 هـ ـ العدد 12778

AS-SAFIR Arabic political daily – May 22, 2014 N° 12778

1 | 17

جنوب السودان: من حرب الانفصال إلى صراع النخب. هل تتحدد الهيمنة الطبقية في إفريقيا بعلاقات القوة لا بعلاقات الإنتاج؟ ألا يخفي الصراع الاثني والقبلي عدم المساواة بين مختلف المجموعات؟ 2

السيطرة على الأنظمة عبر الليبرالية الاقتصادية والعولمة: كيفية عمل النظام المصرفي واحتلال المليارديرات الجدد مناصب رسمية والنظم الإعلامية. وفي السعودية: الملك السابع آخر الملوك غير الدستوريين؟ 3

ملف الفيدرالية في اليمن: الحلقة الثالثة عن إقليم حضرموت. وفي «بألف كلمة»، تضامنا مع إضراب الأسرى الإداريين الفلسطينيين: #مي_وملح. و«حلم» يعرض الجذور المتشابكة للزيتونة الفلسطينية. 4

فلسطينيو سيناء بين النكبة والنكسة وكامب ديفيد

لم تخطط العصابات الصهيونية لإبادة الشعب الفلسطيني جماعياً، بل كان يكفيها لإقامة استيطانها الإحلالي إزاحة السكان شمالاً إلى الشام، وشرقاً إلى الأردن، وجنوباً إلى غزة ومصر، وغرباً إلى البحر. وقعت النكبة قبل 66 عاماً، وزحفت جموع المهجّرين، كلٌّ في اتجاه الناحية المفتوحة من «حدوة الحصان» الصهيونية المسلحة. فتح الصهاينة المجال لأهالي يافا واللد والرملة وعسقلان صوب الجنوب والغرب، فانتعل الرجال رمال الصحراء، وامتطت النساء صهوات الحمير والبغال، وأبحرت قوارب الصيد البدائية من يافا وعسقلان بعائلات الصيادين.

استقر مقام بعضهم في غزة، التي كانت تابعة للإدارة المصرية حتى 1967، واستأنف أغلبهم إلى سيناء، وتراوحت مراسي القوارب بين العريش وبورسعيد، بحسب القدرة على الإبحار والاحتياج إلى مرفأ مجهزٍ خلا منه الساحل في شمال سيناء. وضع اللاجئون رحالهم مجهَدين بين رفح والعريش، ولم يقوَ على استكمال الرحلة إلى وادي النيل إلا من أوتيَ قوة ومالاً.

وقف فلسطينيو سيناء الأوائل على المشارف الغربية لمدينة العريش مودّعين من لم يتحمل أحوالها المتدهورة مقارنة بأحوالهم المزدهرة في وطنهم المغتصب. كان وداعهم لأهليهم وجيرانهم المغادرين وداعَ من لا يعرف متى يكون اللقاء. استغرقت الرحلة من العريش إلى القنطرة أسبوعاً إلى عشرة أيام، ثم عبر اللاجئون قناة السويس، واختاروا بين ريف محافظة الشرقية وحضر القاهرة والإسكندرية. كان وداعاً بين لاجئ اختار موطناً بديلاً قريباً وأخيه الذي بَعُد خياره، فأمسى كالمهاجر إلى بلد آخر.

أما الدفعة الثانية من اللاجئين فتزامنت مع العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، عقب قرار جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس. انسحب الصهاينة سريعاً من سيناء، وعاش فلسطينيو سيناء عقداً ذهبياً، تمتعوا فيه بمساواة كاملة مع المواطنين المصريين، بل زادوا عنهم وعن اللاجئين الفلسطينيين في وادي النيل بمعسكرات تدريب للشباب على القتال والرماية. وقعت هزيمة 1967، واجتهد الحكم الناصري من أجل ابتكار كلمة بديلة لتحفيز معنويات الجماهير، فكان الجناس الناقص بين «نكبة» أيار/مايو و«نكسة» حزيران/يونيو. فهل كان ما بينهما حلماً لم يستغرق سوى شهر، أو أقل، في غفلة من الزمن عما سيحدث لاحقاً لفلسطينيي سيناء؟

أواصر مستعصية على التفكيك

وصل جيش الاحتلال إلى الضفة الشرقية لقناة السويس، على مسافة 200 كيلومتر من العريش، وسيطر عليها قبل أن يتمكن من دخول المدينة المستبسلة بمقاومة سكانها المصريين والفلسطينيين. وبدأ عهد جديد من امتزاج الفلسطينيين والمصريين في سيناء. أتى احتلال سيناء بالدفعة الثالثة والأكبر من اللاجئين الفلسطينيين إليها. وأمعن جيش الصهاينة في إجرامه، إلا أن عهد الاحتلال الإسرائيلي لسيناء لم يخلُ من ميزة وحيدة، فقد فتحت الحدود على مصراعيها، وشد العرايشية وبدو سيناء واللاجئون الفلسطينيون رحالهم إلى المسجد الأقصى للصلاة، وإلى المدن الفلسطينية المحتلة لصلة الأرحام وكسب الرزق، دون إقامة. في زيارة خاطفة، وقف أحدهم على شاطئ عسقلان ناظراً إلى بيته المسلوب بشؤمٍ وحسرة. أطلت المغتصِبة من الشرفة، ودار بينهما حوار مقتضب لا يزال الأحفاد يتناقلون كلماته على مآدب «المفتول» و«المقلوبة» في نواحي العريش. «ماذا تريد؟ ـ أنظر إلى بيتي ـ كان بيتك». انتهى.

أما قَبَلياً، فقد كان تاريخ الحروب بين قبيلتي السواركة والترابين على جانبي الحدود الدولية الوهمية حاضراً منذ القرن التاسع عشر. ولم تنس العائلات الإقلاعية حِلْفها القديم مع الترابين، ولا سبب تسميتها «الإقلاعية»: لنزوح أجدادهم من وادي النيل بعد مذبحة القلعة التي دبّرها محمد علي للمماليك، أو لتحصّنهم في إحدى قلاع خان يونس القديمة في حربهم مع حلفائهم ضد السواركة. ولم تكن حروب الترابين والعزازمة والتياها والقديرات في معزل عن ذلك، فلم تعرف قبائل وسط سيناء فرقاً يميز أبناءها عن أشقائهم وأبناء عمومتهم في النقب وبئر سبع. أما قبيلة اللحيوات الممتدة من الثمد إلى طابا، فيُروى عن معمّريها حيازتهم السابقة لصك ملكية في أم الرشراش (المرشش قديماً)، أو إيلات (أيلة قديماً).

امتد الامتزاج بين الفلسطينيين ومصريي سيناء ليشمل الكفاح المسلح وذاك الاستخباراتي مع الجيش المصري ضد الاحتلال. وكان القوام الرئيسي لهذا النضال «الصوفية الجهادية» في سيناء، التي أسس طريقتها الأم، العلوية الدارقوية الشاذلية، الشيخ عيد أبو جرير بعد أن تلقّاها عن الشيخ أبي أحمد الغزّاوي، الذي ارتحل من غزة إلى سيناء عام 1953. من أتباعها نشط الفدائيون المتطوعون في عمليات عسكرية نوعية ناجحة، مثل حسن خلف أحد أبطال عملية تفجير مطار العريش، وغيره.

أتى النصر الناقص في تشرين الأول/أكتوبر 1973، وتحرك بعض الفلسطينيين ممن يعملون مع الجيش المصري من العريش إلى تل أبيب في الأيام الأولى يستطلعون حقيقة الإمدادات المزعومة، فكاد أن يجن جنونهم من عدم تقدم الجيش المصري ليحسم سيطرته على سيناء وقد انكشفت الخطوط الخلفية للقوات الإسرائيلية. هكذا روى أحدهم، وبغض النظر عن سلامة تقديره للموقف العسكري والاستراتيجي أو امتلاكه الصورة الميدانية الكاملة، فإنها كانت انقباضة الصدر التي أنبأت بما لم يخطر من قبل على قلب فلسطيني لجأ إلى سيناء.

من نكبة «كامب ديفيد» إلى أزمات مبارك والعسكر

أعلن أنور السادات استعداده لزيارة «إسرائيل»، وصدق عزمه بزيارة فعلية للكنيست يوم 19 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1977. وتلقّى مرافقه في الرحلة، يوسف السباعي، رداً سريعاً من أبو نضال ومجموعته المنشقة عن منظمة التحرير الفلسطينية. اغتيل السباعي في قبرص في 18 شباط /فبراير1978، وشهدت جنازته في القاهرة أعنف الهتافات ضد القضية الفلسطينية. تمادى السادات في محاولته إخفاء فضيحة العملية الفاشلة، التي كانت تهدف إلى تحرير الرهائن في مطار لارنكا بعد أن اختطفهم قاتلو السباعي، فتطرف في الإجراءات العدائية ضد قبرص وضد اللاجئين الفلسطينيين في مصر في آنٍ واحد. حُرم فلسطينيو مصر عموماً من حقوق المساواة التي منحهم إيّاها عبد الناصر منذ عام 1954. وتوالت التشريعات العقابية ضدهم بالتزامن مع تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية وتأسيس نظام حكم جديد في 1979، فتحولوا قانونياً من موضع المساواة مع المواطنين المصريين إلى «عرب»، ثم إلى «أجانب».

تصل تقديرات الفلسطينيين في سيناء حالياً إلى 25 ألف نسمة، يمثلون أكبر كتلة في تعداد محافظة واحدة مقارنة ببقية ما يقدر بـ85 ألف فلسطيني في عموم مصر. ورغم أنهم أقرب جغرافياً ومعنوياً وعرفاً ولهجةً إلى لهجة الوطن الأم، إلا أن إذلال الحكومة المصرية لهم بالإجراءات القانونية المتعسفة، والتمييز بين عدة فئات من وثائق السفر (أ ــ ب ــ ج ــ د ــ ه)، واشتراط إتمام إجراءات كثيرة في القاهرة على مسافة 450 كيلومتراً، قد دفع كثيراً من شبابهم إلى التساهل في شأن التجنس بالجنسية المصرية عن طريق الزواج، وهو الخط الأحمر الذي لا يمكن أن يتجرأ عليه كبارهم حتى لو صاهروا عائلات مصرية.

قديماً اختلطت دماء التلاميذ الفلسطينيين بدماء أقرانهم المصريين في مذبحة مدرسة بحر البقر، أما الآن فليس لأطفال الفلسطينيين سوى التعليم الخاص المكلف، أو الرشوة من أجل الحصول على حقهم في نسبة محدودة في التعليم الحكومي شبه المجاني. وأما التعليم الجامعي فيعاملون فيه معاملة الأجانب، ويطالَبون بتسديد المصروفات بالجنيه الاسترليني والدولار الأميركي، وإلا فالفصل أو الحرمان من الشهادة الرسمية حتى السداد. لا تأمين صحياً، ولا دعم تموينياً، ولا تصاريح عمل إلا قليلاً، على الرغم من ميلاد ثلاثة أجيال متعاقبة في مصر، حيث يعيشون ظروف المصريين دون فرق في الدخل. أما السفارة الفلسطينية في القاهرة والقنصلية في الإسكندرية فقد كبّروا عليهما أربعة تكبيرات بلا ركوع ولا سجود منذ زمن بعيد.

أمنياً، عاش فلسطينيو سيناء كابوس التوسع في الاشتباه فيهم، واختزال تاريخهم الطويل في صراع سياسي بين نظام مبارك وحكومة حماس، بعد سيطرة الأخيرة على قطاع غزة. قرر نظام مبارك ممثلاً بمدير المخابرات العامة الأسبق، عمر سليمان، أن يفتح المجال لتجارة الأنفاق كمتنفس غير شرعي بديلاً عن اجتياح الحدود الذي تكرر مرتين في 2005 و2007. أحدثت الأنفاق خللاً اجتماعياً هائلاً في المنطقة الحدودية وامتدت آثارها حتى العريش، ونشأت علاقة جديدة تربط فلسطينيي القطاع باللاجئين في سيناء وبالمصريين، وهي علاقة ملتبسة اختلط فيها الربح بالعمولات الفاسدة. لجأ الفاسدون، من الشرطة وأمن الدولة وبعض أجهزة الجيش، إلى إحكام سيطرتهم على التجار/المهربين بتلفيق القضايا الجنائية ضدهم لتحجيم حركتهم خارج المنطقة الحدودية بعد استصدار أحكام غيابية ضدهم، بعضها أحكام عسكرية غير قابلة للاستئناف.

... وبعد الثورة

أضحى الفلسطيني في سيناء في السنوات الأخيرة من عهد مبارك مشتبهاً به، وطالما ارتبك ضباط الشرطة في نقاط التفتيش حين طالعوا وثائق السفر الخاصة باللاجئين. لم يسمعوا عن هذه الوثائق من قبل، ولم يعرفوا معنى لتواجد فلسطيني في سيناء سوى تسلله عبر أنفاق رفح، فكان لقاؤهم بفلسطيني مولود في العريش عام 1949، وله من الأبناء والأحفاد عشرات الفلسطينيين الذين لم يعرفوا لهم بلداً سوى مصر، صدمةً اعتادها فلسطينيو سيناء. ولم تكلف وزارة الداخلية المصرية خاطرها لتعريف عناصرها الذين يخدمون في هذه الناحية من البلاد ـ على الأقل ـ بالأوضاع القانونية المختلفة للسكان. صبر فلسطينيو سيناء خلال الفترة الانتقالية عقب الثورة، واستبشروا بفوز الإخوان في الانتخابات البرلمانية ثم بالرئاسة. لكن المفاجأة كانت بتنصل إخوان العريش من مناصرة قضايا الفلسطينيين كي لا «يُتّهموا» بذلك، وفق تعبير عبد الرحمن الشوربجي، النائب البرلماني السابق. وحين شنت دولة الاحتلال حربها الأخيرة على غزة، لم يختلف الدور المصري برئاسة محمد مرسي في 2013 عن سابقه في 2009 برئاسة حسني مبارك. وجه القيادي الإخواني خيرت الشاطر لوماً لحركة حماس ينتقد توريطها إخوان مصر في معارك لم يحن وقتها، وكان مدير المخابرات الأسبق، مراد موافي، قد أعلن سابقاً أثناء توليه منصب محافظ شمال سيناء أن الخطر الذي يتهدد الأمن القومي المصري قادم من الأربعة عشر كيلومترا الشمالية (أي حدود مصر مع قطاع غزة)، وليس من المائة وتسعين كيلومترا في الوسط والجنوب (حدود مصر مع الأرض المحتلة). فأين كان الفارق بين النظامين ولو على مستوى الخطاب؟

عقب 3 تموز/يوليو 2013، أمسى الفلسطيني مداناً حتى تثبت براءته. وصار كافياً للمتحدث العسكري أن يحشر كلمة «فلسطيني» ضمن بياناته الإعلامية عن ضبط مطلوبين أو مشتبه بهم لتتشح أكاذيبه المتكررة برداء الإقناع، ويتلقفها الإعلام سعيداً بإنجازات أشبه بإنجاز القوات الخاصة في عملية مطار لارنكا في إرهاصات عهد كامب ديفيد. وعلى أطلال معسكر «الأبطال» الذي تدرب فيه الفلسطينيون بإشراف الجيش المصري على الرماية والقتال قبل احتلال سيناء، أقيمت «الكتيبة 101» التي تشهد الآن سلخانة تعذيب وتلفيق القضايا ضد مئات الأبرياء من سكان شمال سيناء، لا فرق في ذلك بين مصري وفلسطيني!

إسماعيل الإسكندراني

باحث في علم الاجماع السياسي ـ من مصر

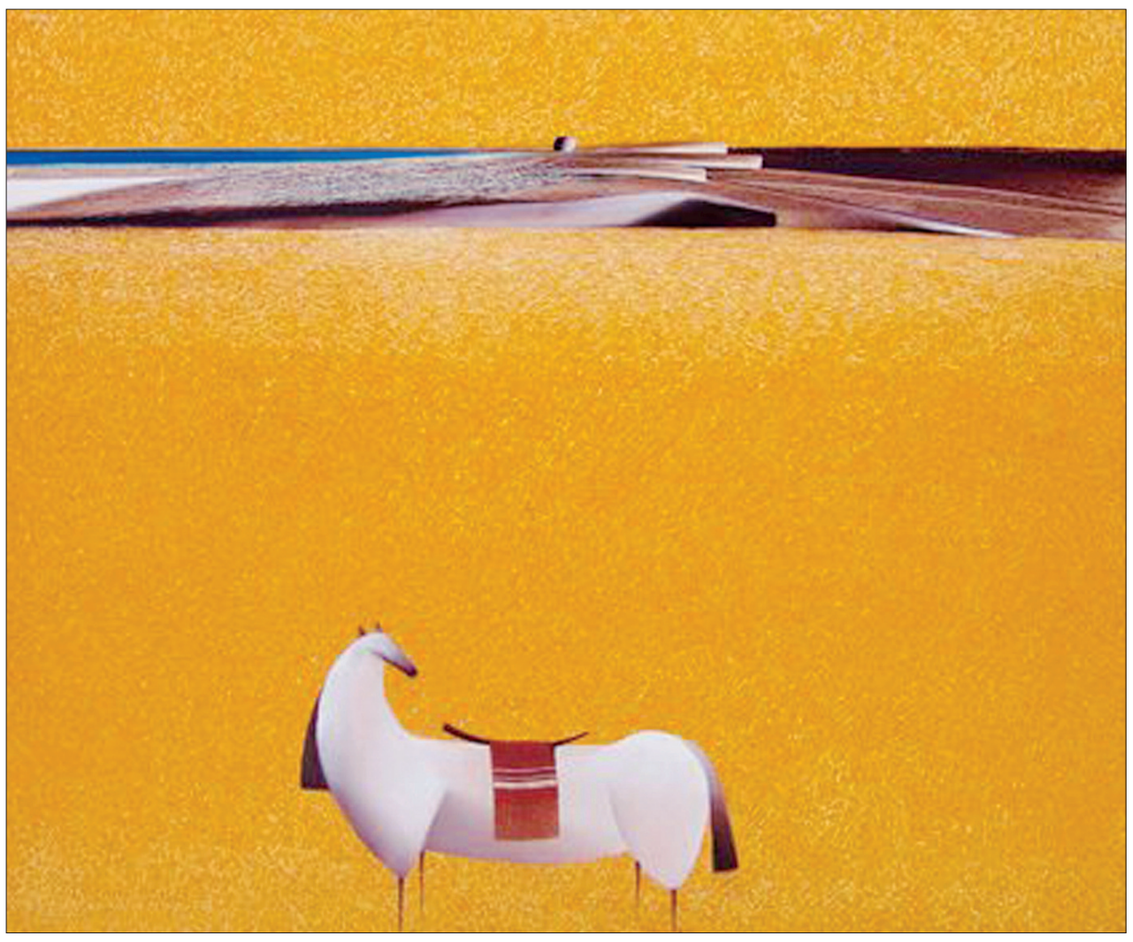

لوحة «وطن» للفنان محمد نصرالله ـ فلسطين

هرِمنا في انتظار الزواج

بينما يتجادل البرلمان المغربي حول تخفيض سن الزواج إلى أقل من ثماني عشرة سنة شمسية، خرجت الحكومة العراقية بمعجزة قانونية هي مشروع للسماح بتزويج فتيات لا تتجاوز أعمارهن تسع سنوات «هلالية»، مع إجبارهن قانونيا على الخضوع لرغبات أزواجهن، لأن المعاشرة الزوجية حق أصيل للذكر. وليس للحكومة المغربية والعراقية أي ذنب في هذا. الحكومة مثل قطعة ثوب تغطي المجتمع وتأخذ شكله. وإذا فرشنا قطعة ثوب على شوك وجلسنا لن نلوم الثوب بل الشوك. وقرار الحكومة ابن بيئته. طبعا، يسهل على الإنسان معارضة الحكومة وشتمها وأستطيع ذلك حالا وهي حكومة كسولة مفككة لا ترى أبعد من أنفها. أنا أيضا لا أرى أبعد من أنفي. لكن النادرين هم من يستطيعون معارضة بيئتهم. نواب الأمة خرجوا من مصران الشعب الغليظ. وهم يشبهونه. يشبهون الشعب لا المصران. وقبل التصويت على هذا، سيتهامس السادة النواب بما لن يقولوه على منصة مجلس الشعب، يقولون مثلا: «لا يمكن أن تكون البنت عفيفة بعد سن الثمانية عشر عاما». أسمع تلك الدردشات في أماكن مختلفة.

حجة المشرع المضمرة بسيطة:

يريد الرجال الذين يدفعون المهر وغيْره الزواج من القاصرات... فالقاصرات تسهل السيطرة عليهن. ومن ينكر هذا فقد أعمته الأنوار، لذا لا يشاهد واقعه. الدليل يفقأ العيون: تجتهد المجتمعات بين المحيط والخليج لإخضاع النساء. وهذا مشروع ناجح لحد الآن، ويحتمل أن يحقق نجاحات جديدة سيسمها الحقوقيون نكبات وانتكاسات.

لا أنوي التنديد بهذا، لأن كمية بلاغات التنديد كثيرة. أرى الوقائع لا البيانات. أريد الوقوف على الجانب الآخر من المشكل. استفتيت بعض الشابات حول هذا. الصغيرات خجلن ومن تجاوزن الخامسة والعشرين عاما لاحظن أن الصغيرات يتزوجن والكبيرات يصرن «بائرات» (من فعل بار أي فسد). وقد طالبتْ «البائرات» بتأجيل تزويج القاصرات لتحصل الكبيرات على فرصة.

كل يوم تتلقى «البائرة» هذا السؤال: متى تتزوجين؟ جاءني الجواب جاهزا: وهل وجدت لي عريسا؟

مسحت الأجوبة الجاهزة على طرف اللسان. كرهت الكتابة عن الظاهر والمتداول مثل الحكومة والبرلمان. مشكوك أن هذه المؤسسات تؤثر في حياة الناس. ومررت لأسئلة عميقة: ما الوساوس التي تعبر ذهنك ورأسك على الوسادة بعد منتصف الليل؟

لا جواب واضحا، أغير الصيغة: لديك صديقة بلغت الثلاثين ولم تتزوج؟

آه صديقتي.

تعبر محاورتي عن استعداد للحكي. تنتبه: وماذا لو قرأت صديقتي مقالك وعرفت أني تكلمت؟

طمأنتها: لن تعرف والقصة لا تعنيها وحدها بل عاشتها ألف بنت.

محاورتي مستعدة لتحكي عن صديقتها، أوافق وأنا أعتبر أنها تحكي عن نفسها بضمير الغائب، وهكذا يتطابق الأنا والآخر. وإذا كان الآخر هو الجحيم فأنا أيضا جحيم.

قالت إن صديقتها تردد «اللهم اجمع بين المتحابين في الحلال»، وكلما زاد عمرها زادت جرعة التقوى في دمها، وهي تتمنى أن يأتيها ابن الحلال. حين يتأخر تشك في كثرة أولاد الحرام. وحين تتعرف على شخص تتوفر فيه بعض الشروط «تمسك فيه بأسنانها وأظافرها» وتكتب على صفحتها على الفيسبوك «مخطوبة».

ما هو الزواج؟ أجابت: بصراحة أجهل التفاصيل لأن جل المتزوجات يخفينها ويظهرن السعادة والدليل أن وزنهن يزداد.

كم صديقة لك تزوجت؟

أجابت «كانت لي صديقة واحدة تزوجت. بمجرد زفافها لم أعد أراها ولا أتواصل معها. من يومها وأنا أتوفر فقط على زميلات عمل. جلهن تزوجن وهن يحكين أن الزواج أجمل ما خلق الله، يصمتن لبعض الوقت ثم يضفن: «إذا وجدت من يفهمك وتفهمينه». حاليا يفضل الرجال الزواج من بنات البادية، خاصة حين تكون هناك روابط عائلية.

حتى الحكومة تفضل تجنيد أبناء البوادي في الجيش والشرطة. إذا فالرجال يشبهون الحكومة. لتخفيض توتر محاورتي الثانية انتقلت من الواقع للحلم:

«اذكري لي عشرة بنود في دفتر أحلام زواجك؟» طويل وجذاب. غنيت لها مقطعا من موال «يا ظريف الطول وقف تا قلك». تحسن مزاجها فأكدت أنها تريد فارس أحلام لا يقول لها في غرفة «أنت أمام الله زوجتي»، بل تريده أن يفعل ذلك أمام القانون والمجتمع. وتريد أن تكون أم العريس ميتة. وهذا استعداد فطري لحرب أهلية منزلية مع الحماة المستقبلية. لا توجد الحرب الأهلية في الماضي فقط.

كيف تعيش صديقتك علاقاتها العابرة؟ بالعكس العلاقات التي يظن الرجال أنها عابرة تجدها الفتاة فرصة انغماس الصنارة. في باب الحب العابر لدي رصيد «جد مهم» من «حكاوي» وخبايا تساعد على قراءة نوايا الرجل. لكن كيف تتطور علاقة تنتهي في أسبوع إلى زواج؟

دون زواج توجد علاقات. في الألفية الثالثة ألف صديق ليسوا كفاية، العلاقات الحميمة بين الجنسين بلا أفق. يخشى الشبان الزواج، يعتبرونه قفصا، ولا يهمهم معدنه ذهب أم حديد. هو قفص اقتصادي أولا.

هذا لب التداعي الحر الذي استمعت إليه وقد تجنبت تنسيقه.

لنمر للخلاصات: ما هي نتائج تأخر الزواج؟

صحيا، هناك الأرق والقلق. لا بد من وسائل اصطناعية لجلب النوم بينما تنام المتزوجات منهكات في العاشرة ليلا. تسبب عنوسة الرجال والنساء قرحة، فالانفعالات والقلق يجعلان المعدة تفرز مادة مضرة. هنا تتحقق المساواة بين الجنسين.

اجتماعيا، تتعرض الشابة لتوبيخ متصل، تُقصف بالسؤال: لم تتزوجي بعد؟ وفي السؤال الاستنكاري اتهام «أنت سبب عنوستك».

تدافع الشابة عن نفسها، تنفي تعرض الرجال للتوبيخ نفسه. «هذا تمييز ضد النساء، لذا لا أبالي بما يقول المجتمع». ترفض الشابة النصائح المسمومة الساخرة. تؤكد أنها مرتاحة، تكتب على صفحتها على فايسبوك «ليَس عَلِينا أنْ نتكَيف لِنكُون أَجمَل فَنحْنُ بِعفويتَنا رَائِعون».

بعد الرد الجاهز يأتي التأمل العميق للوضع: أظن أن والدي، بل والغرباء، يحملون همّ زواجي أكثر مما أفكر فيه أنا. بعض الغرباء يسألونني للشماتة. يسألونني كل يوم وكأنني حمل ثقيل على الكل. تعاطف أشبه بالعزاء كوني لم أنل نصيبي من أي رجل... ثم إن الملك محمد السادس لن يسمح بتخفيض سن الزواج... فلو كان القرار بيد غيره لخُفض سن الزواج ليصير المغرب مثل اليمن والسعودية. وهذا مصدر غير منظور لشعبية الملك.

قلت لها:

احبلي من صديق. المهم هو الطفل لا الرجل. الأزمات المادية دورية لكن لوقت الإنجاب حد. لو كنت بنتا لفعلت هذا. ردت لي: نصائحك على رأسي لكن لا أحبذ ابن زنا. وهل تفضلين بلوغ سن اليأس بلا طفل؟ للبيولوجيا قانون صارم، سن الإنجاب محدود لدى النساء. أجابت بثقة: ليس في حياتي سن يأس، كلي أمل وطموح وعطاء.

أوقفت الحوار لأحتفظ له بنهاية سعيدة.

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

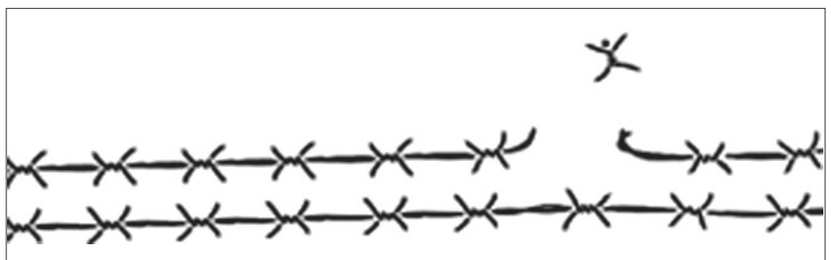

الأنظمة العربية والحوار

يعيد اعتقال الصادق المهدي، زعيم حزب الأمة السوداني، ورئيس الوزراء لمرات، وسليل قائد الثورة ضد الإنكليز في القرن الأسبق، إثارة سؤال مقاييس ما تسميه السلطات في منطقتنا «الحوار الوطني». اعتقل الرجل بعدما انتقد ممارسات قوات «التدخل السريع» المعروفة اختصاراً بـ«الجنجويد»، واعتبرها ترتكب انتهاكات لحقوق الإنسان وجرائم حرب في مناطق النزاع. ردت السلطة بأن هذه القوات «نظامية»، واعتبرت انتقادات المهدي «تقويضاً للنظام الدستوري ومعارضة تتوسل القوة»!

لا تهم في الواقعة تفاصيل «الكواليس» السياسية التي غالباً ما تطغى على كل ما عداها، فيتناقلها الناس ويتسلون بها، كما يطبل لها الإعلام... كأن يُنظر إلى اعتقال المهدي كانتصار للجناح المتشدد والصقوري في حزب المؤتمر الوطني الحاكم، الرافض لمبدأ الحوار وللدعوة إليه التي أطلقها البشير نفسه، إذ لا يرى له «ضرورة»، أو كأن تَعتبر أخرى الصادق المهدي متساهلا وحمائمياً أكثر مما ينبغي، وأن ما ناله هو جزاء خياراته التي أضعفت أصلا حزبه ووضعته على شفا انشقاقات، والرجل هو فعلا أبرز دعاة إيجاد مخارج للوضع المأزوم في السودان بالطرق السلمية وبتحقيق تفاهمات، بينما اتجهت المعارضة إجمالا إلى رفض الدعوة للحوار باعتبارها غير مبنية على أسس ومعايير ومحددات، وقاطعتها... وبالطبع فلا يخلو المشهد من خبريات ثالثة تغوص في العداوة التاريخية بين المهدي وصهره حسن الترابي، بسبب التنافس على الزعامة، والاختلاف الفكري، إذ الأول متصوف والثاني إخواني، وقد قَبِل بلقاء البشير منذ شهرين، بعد 15 سنة من القطيعة وعدة إقامات في الحبس. فيقدَّم اعتقال المهدي كنتيجة للدسائس وإيغار الصدور...

ذلك ـ كله ـ قد يكون فيه نصيب من الحقيقة. وأما نقطة القلب فتقع في مكان آخر: هذه سلطات مبنية بطريقة نابذة لمفاهيم تأسيسية في أي اجتماع سياسي حديث، كالحرص على التوافق الوطني والمصلحة العامة. وهي قيم ليست ساذجة، ولا ملائكية، بل اعتمادها هو شرط تجنب هيمنة منطق الغُلْب المدمر، الناظم للصراع العنيف الدائم، بما فيه ذاك الأهلي، لأن كل غُلب يمكن قلبه بأدواته نفسها، فيَغلب آخرون أو يعم التذابح. والسودان لا يخترع جديداً، بل هو منسجم مع أقرانه في سوريا والعراق وليبيا... ومصر مؤخراً، إن لم نذكر سواها، وغضضنا الطرف عن السلطات الملكية/القبائلية التي لا تُخفي طبيعتها.

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

120 طفلاً فلسطينياً من القدس اعتقلتهم القوات الإسرائيلية منذ بداية العام الجاري. يحدث ذلك في إطار سياسة التطهير العرقي الإسرائيلية وبغاية إضعاف المجتمع المقدسي. وأشار الأمين العام للتجمع الوطني المسيحي في الأراضي المقدسة أنه بعد إطلاق سراح الأطفال، يتعرض بعضهم للإبعاد أو الحبس المنزلي.

جنوب السودان
من حرب الانفصال إلى صراع النخب

«سودان واحد يكفي». هكذا لخص جون دانفورث المبعوث الأميركي الأسبق الى السودان، الوضع. وهو كان من أشرف على اتفاقية السلام للعام 2005 التي حصل جنوب السودان بموجبها على حق تقرير المصير المؤدي في ما بعد إلى انفصاله ثم الى إقامة دولة مستقلة بعد ست سنوات.

كان دانفورث ومعه العديد من الديبلوماسيين المهنيين وخبراء الشأن السوداني، يرون ضرورة الاّ ينتهي حق تقرير المصير بالانفصال، خاصة أنه يمكن عمل ترتيب يسمح للجنوبيين بالإدارة الكاملة لشؤون إقليمهم، إلى جانب المشاركة في الحكومة المركزية، لإعطاء نموذج يساعد بقية أقاليم السودان على التمتع بنصيب أكبر من السلطة والثروة. كما أن ترتيبا مثل هذا سيحد من غلواء التوجهات الإسلامية في نظام الحكم السوداني.

على أن الكثير من اللوبي في واشنطن، خاصة تلك الكنسية ومجموعات النواب المنحدرة من أصول أفريقية وجماعات حقوق الإنسان، دفعت باتجاه أن تتبنى الإدارة نهجا يقوم على تأمين انفصال الجنوب وذلك بأمل تخليص الجنوبيين من هيمنة الشماليين العرب المسلمين. لكن، وفي أقل من ثلاث سنوات بعد الاستقلال، وجدت أحدث دولة برزت على خارطة العالم أنها غارقة في متاعب تتجاوز المشاكل المعهودة في بناء الدول حديثة الاستقلال، إلى صراع النخب على مواقع النفوذ والثروة، وهو صراع انحدر بسرعة ليتخذ له أبعادا إثنية وقبلية تقتات من تاريخ طويل من العداوات، وكأن الشمال كان العامل الذي توحد الجنوبيون حوله، وبغياب هذا العامل عادت الصراعات القديمة إلى الظهور مجددا.

وفي الواقع، فإن مثل هذا التطور ليس جديدا. وإبان الحرب الأهلية (1983 – 2005)، قاد رياك مشار، زعيم التمرد الحالي، انشقاقا في العام 1991 ضد مؤسس الحركة الشعبية لتحرير السودان جون قرنق، متهما إياه بالديكتاتورية وقيادة الحركة في طريق مسدود بالدعوة الى سودان علماني ديموقراطي، بينما من المفروض أن يكون التركيز على فصل جنوب السودان. خلال المواجهات التي عرفت أحيانا بحرب الدكاترة (إشارة إلى أن كليهما يحمل درجة الدكتوراه)، اتخذ الصراع أيضا نهجا قبليا، خاصة أن قرنق ينحدر من قبيلة الدينكا، أكبر قبائل جنوب السودان، ومشار من قبيلة النوير، التي تليها من الناحية العددية. حينها قتل من الجنوبيين بأيدي جنوبيين أكثر ممن قتل بيد الجيش السوداني، كما ورد في بحث ميداني للأكاديميين شارون هتشنسون وجوك مادوت جوك نشر في العام 1999. وكانت أبرز واقعات تلك المواجهات مقتل حوالي ألفين من الدينكا فيما عرف بمذبحة منطقة بور، التي أتُهم مشار بتنفيذها.

مراعي قبيلة الدينكا في جنوب السودان – تصوير كارول بكويس (نشرها موقع بورد باندا)

صراع على القيادة

بعد قرابة عقد من الزمان، حصلت مصالحة سياسية عاد مشار بموجبها الى صفوف الحركة الشعبية. وبعد توقيع اتفاق السلام في 2005 أصبح نائبا لسلفا كير، الذي خلف قرنق في قيادة الحركة وفي حكومة الجنوب كذلك، كما أصبح نائبا للرئيس بعد استقلال الجنوب في 2011. لكن الصراع بين الرجلين لم يكن خافيا. وفي مؤتمر الحركة الشعبية العام 2008، أعلن مشار عن رغبته في ترشيح نفسه لرئاسة الحركة، وهو المنصب الذي يؤهل شاغله ليكون مرشح الحزب لرئاسة الدولة. على أن وساطة قام بها الأميركان توصلت الى انه من الضروري لقيادات الحركة لجم خلافاتها والتركيز على الهدف الأكبر وهو الوصول بسلام الى موعد استحقاق ممارسة حق تقرير المصير بعد ثلاث سنوات، ومن ثَمّ تحقيق استقلال جنوب السودان. ونتيجة لهذا، اقترح الاستمرار في الصيغة القائمة التي تعطي سلفا كير قيادة الحركة والدولة، ومشار نائبا له، وباقان أموم أمينا عاماً للحركة الشعبية، وهو ما حدث.

على ان الصراع والتنافس بين هذه القيادات بدأ يبرز الى العلن مرة أخرى، ووصل الأمر بمشار الى أن يطرح علانية وفي مقابلة مع صحيفة «الغارديان» اللندنية قبل عام، أن على كير التنحي عن قيادة الحزب والدولة والاكتفاء بسجله كالرجل الذي رفع راية استقلال جنوب السودان، وأنه (مشار) سيرشح نفسه لرئاسة الحركة في مؤتمرها المقبل.

كير رد بسرعة، واستغل السلطات الاستثنائية التي منحها له الدستور، فقام بتقليص العديد من سلطات نائبه مشار، وهي الخطة التي وصلت الى قمتها في شهر تموز / يوليو المنصرم عندما أعفى مشار من منصبه في أطار أكبر تعديل وزاري أخرج بموجبه معظم منتقديه من الحكومة، وكذلك جمّد عمل أمين عام الحركة أموم وأحاله إلى التحقيق بتهم تتعلق بالفساد.

وهكذا بدأ يتكون معسكر من مناوئي كير ضم أيضا ريبيكا زوجة قائد الحركة الراحل جون قرنق وأبنه مبيور، تحضيرا للمعركة في أحد مؤتمرات الحزب في كانون الأول / ديسمبر الفائت.

رواية كير ومناصريه مختلفة، وتقول إن مشار وحلفاؤه خسروا في المواجهة الحزبية ومن ثم خططوا للقيام بانقلاب في ليلة 15 كانون الأول / ديسمبر، وهو ما تصدت له الحكومة وأحبطته في مهده. وظهر كير في اليوم التالي لهذا التاريخ مرتديا بزته العسكرية وهو يعلن إحباط الانقلاب. مشار ومجموعته ردوا بالمقابل، مؤكدين أن ما حدث لم يكن انقلابا وأنما محاولة من كير لتجريد عناصر من قبيلة النوير في الحرس الجمهوري من سلاحهم، الأمر الذي ادى الى اندلاع العنف بسبب الأجواء المحتقنة سياسيا، واستهداف مجموعات النوير على أساس عرقي في جوبا. مشار هرب من جانبه ليحتمي في قبيلته ولينفجر الصراع متخذا شكلا عسكريا وقبليا، على الرغم من انطلاقه أساسا بسبب صراعات سياسية بين قيادات الحركة، خاصة بعد انشقاق اللواء بيتر قديت من جيش الحركة، وهو من أبناء النوير ومعروف أكثر بممارساته كأحد «لوردات الحرب» الذين قاتلوا الى جانب الجيش السوداني ضد الحركة الشعبية، وكذلك ظهور ما يعرف بالجيش الأبيض من أبناء النوير المقاتلين المستهدِفين لتجمعات الدينكا والقبائل الأخرى المناوئة لقبيلتهم.

فشل الوساطات

انحدار الصراع الى المستنقع القبلي والإثني دفع الأمم المتحدة الى تخصيص أماكن منفصلة بعلامات مميزة للدينكا والنوير الذين يحتمون بمعسكراتها. على ان القتال استمر بين الطرفين في كر وفر، ولم تنجح اتفاقية سلام بوساطة من دول الجوار في وقف القتال وما صحبه من ارتكاب لأعمال وحشية، كما حدث في مجزرة «بنتيو» عندما قتلت مجموعات موالية لمشار مدنيين على الهوية مرفقة ذلك بتهديدات تحض على الكراهية، الأمر الذي أعاد الى الأذهان ذكريات مذبحة رواندا.

الإدارة الأميركية ألقت بثقلها وبعثت بوزير خارجيتها جون كيري الى جوبا للالتقاء بالرئيس كير ومهاتفة مشار، بغاية أن يفرض عليهما الالتقاء لوضع حد للقتال. وأعقبت ذلك زيارة لسكرتير عام الأمم المتحدة الى جوبا، تمكن فيها من تحديد وقت للقاء الرجلين في أديس أبابا. واشنطن لم تكتف بالجهد الديبلوماسي وأنما لوحت بإحالة المتهمين بارتكاب جرائم حرب الى محاكم دولية، وهو ما أكد عليه بان كي مون. وفي اشارة الى انها تعني ما تقول، قامت واشنطن بوضع قائدين عسكريين من الطرفين هما بيتر قديت وقائد حرس كير الجنرال ميريال شانونق على قائمة الحظر التي يمكن أن تشمل قيادات أعلى في ما بعد.

اللقاء الذي تم في أديس أبابا في التاسع من شهر أيار / مايو الجاري، وهو الأول بينهما منذ اندلاع الحرب، لم يثمر شيئا يذكر، وهو جاء نتيجة ضغوط لم تسمح للرجلين حتى باللقاء وجها لوجه ومناقشة القضايا، وإنما طلب منهما رئيس الوزراء الإثيوبي ديسالين هايلي مريام التوقيع على الاتفاق وإلا منعا من مغادرة عاصمة بلاده. وقد كان. لكن الهدنة لم تصمد سوى بضع ساعات واتهم كل طرف الآخر بخرقها، وهو ما أثار تساؤلات عن قدرة الرجلين، خاصة مشار، على ضبط القوات التي تعمل تحت إمرتهما، وعن مدى اهتمامهما بمواطنيهما، حيث يقدر عدد الذين قتلوا بسبب الصراع الحالي بنحو 100 ألف شخص، علاوة على نزوح مليوني شخص عن قراهم الى أماكن أخرى داخل أو إلى خارج البلاد، واحتياج نحو خمسة ملايين الى الغذاء بسبب العنف وهطول الأمطار مما يعيق عمليات الزراعة والحصاد لهذا الموسم.

ومع تجدد القتال وإعلان كير تأجيل الانتخابات ثلاث سنوات، مما يعني استمرار رئاسته المختَلف عليها، فإن الأمور تتجه الى المزيد من التصعيد والتشرذم، مع احتمال قيام الأمم المتحدة بدفع ملف جنوب السودان الى المحكمة الجنائية الدولية بإيعاز من واشنطن. كما لا تبدو احتمالات الوساطة من دول الجوار كبيرة، أو بروز كتلة ثالثة من داخل الحركة تعمل للخروج بحل توافقي. وكير، من موقعه في رئاسة الدولة ومن ثم سيطرته على الموارد، يبدو في وضع أفضل نسبيا للصمود والمناورة. ولعل الحلول تنتظر تعاظم كلفة الصراع وشعور الطرفين بعبئه، ما قد يدفعهما الى القيام بجهد حقيقي لوقف القتال.

صراع النخب السياسي على النفوذ يعيد الى الأذهان نظرية ريتشارد سكلار عن طبيعة الهيمنة الطبقية في أفريقيا، وكيف انها تتحدد بعلاقات القوة، لا بعلاقات الانتاج. ومؤخرا نشر الأكاديمي كليمنس بينو في دورية «شؤون أفريقية» مقالا عن كيفية صعود الطبقة العسكرية للحركة الشعبية إبان الحرب الأهلية التي استمرت 20 عاما، مستغلة علاقات القوة لتفرض نفسها وتميزها عن المجتمعات المحلية خاصة تلك غير الموالية للحركة. وفي ما بعد، قامت باستغلال جهاز الدولة وموارده من عائدات النفط للغرض ذاته. والأرقام الرسمية المتداولة تتحدث عن أربعة مليارات من الدولار ضاعت على الدولة الفتية بسبب الفساد. وهو يرى ان الصراع الحالي، رغم تدثره بأردية إثنية وقبلية، الا انه يخفي خلفه تشققات عدم المساواة بين مختلف المجموعات، من التي تحتل مواقع عليا (أرستقراطية) أو التي تليها أو المواطنين العاديين، وهي تشققات أبرزتها فترة ما بعد الحرب، بانحسار ستار النضال وتضعضع مشروعيته.

السر سيد أحمد

كاتب صحافي من السودان مختص بقضايا النفط

مواقع / إصدارات

مسارات.. نحو المصالحة الفلسطينية

«مسارات» يعرِّف نفسه كمركز تفكير إستراتيجي هاجسه «المستجدات الداعمة لبناء إستراتيجية فلسطينية قادرة على تحقيق الأهداف الوطنية». لسنا إذاً في الاكاديميا، ولو أن الإنتاج محكم وجدي، بل الغاية معلنة، وهي سياسية / نضالية، تصبح معها المصالحة الوطنية واحدة من الشروط لتحقيق الهدف (واهتمام ومتابعة لاتفاق مخيم الشاطئ الاخير)، تماماً مثل «المطالبة بالتوافق على سياسة أمنية وطنية تمهد الطريق لاعادة هيكلة وتوحيد الأجهزة الأمنية» وهذا مجال في غاية الأهمية والحساسية. المركز «مؤسسة فلسطينية مستقلة غير ربحية تختص بالسياسات والدراسات الإستراتيجية ذات النوعية المتميزة في المجال السياسي وأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية». وقد اتخذت مجموعة من أصحاب الفكر والرأي قراراً بإنشائه بحيث لا يقتصر عمله على مواكبة آخر المستجدات على الصعد السياسية والاقتصادية والثقافية... بل يسعى إلى تحديد «أفضل السبل للاستجابة لها وإنتاج أوراق الموقف السريعة وأبحاث ودراسات ملائمة تساهم في تعزيز نضال الشعب الفلسطيني وتطلعاته التحررية في مواقعه المختلفة».

في خانة «دراسات» على موقع المركز هناك «اثر المتغيرات في سوريا على فلسطينيي سوريا وكياناتهم السياسية»، و «فلسطين بين دستور الدولة والحاجة إلى ميثاق وطني – مقاربات إستراتيجية في النظام السياسي الفلسطيني»، التي تفرد أجوبتها على ثلاثة محاور: 1– «ضرورة الدستور وعلاقته بقيام الدولة أو التحضير لها»، 2– «أبعاد العلاقة الشكلية – الوضعية بين الوثائق الدستورية للمنظمة والسلطة والدولة»، و3– «أبعاد العلاقات السياساتية الواقعية بين كل من المنظمة والسلطة والدولة».

الخلاصة جاءت محفزة للتوجه الفلسطيني إلى تبني دستور مكتوب وموحد للدولة باعتباره «طبيعي وصحي». مع التأكيد على ضرورة إعادة بناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية (لذلك وثيقة / دراسة قائمة بذاتها)، وعلى أهمية تعزيز الميثاق الوطني كقاعدة توافقية جامعة...

واللافت اهتمام المركز بالحراك الشبابي (يفرد له باب بعنوان «مشروع التواصل الشبابي»)، وبحثا استشرافيا عن «حراكات الشباب الفلسطيني» يتصدى للعوائق التي تواجهها.

ومن ضمن ما يذكره المركز عن أهدافه: «المشاركة في تعزيز الوعي المرتبط بالقضايا والأولويات الفلسطينية وذلك من خلال الأنشطة العلمية وتنظيم الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات ذات الصلة بعمل واهتمامات المركز البحثية»، فيعقد مؤتمرات سنوية، آخرها كان في كانون الثاني / يناير 2013 (المؤتمر السنوي الثالث)، ويوليها اهتماماً كبيراً من خلال عرض تفاصيلها على شكل كرّاسات مقسّمة وفق المحاور التي جرى تناولها، كما يعرضها مصورة عبر تأمين فيديو خاصّ بكل قسم منها.

يقدّم المركز مجموعة مقالات كبيرة، آخرها «ذكرى النكبة: كل فلسطين تحت مقصلة التهويد» بقلم المدير العام هاني المصري. ويتألف طاقم المركز من مدير البحوث خليل شاهين، مديرة تنفيذية إلفت حمّاد، مدير إداري عدنان المصري، مدير المكتبة والتدقيق اللغوي عبد الجبار الحروب والمراسلة ليلى غازي.

http://www.masarat.ps/ar

فكرة

قانون الإرهاب و.. قانون الإرهاب

الأسبوع الفائت، رفضت السلطات السعودية مجدداً طلب «هيومن رايتس ووتش» الإفراج عن المواطنين سلطان وسعود العنزي المسجونَين منذ أكثر من عامين من دون أي تهمة موجهة لهما. قبل ذلك بشهر، أكمل الناشطان البارزان في مجال حقوق الإنسان عبد الله الحامد ومحمد القحطاني عامهما الأول في السجن، من أصل عقوبة تبلغ 11 سنة حبساً لكليهما، والتهمة تتعلق بانتقادات وجهها الاثنان لانتهاكات الحكومة السعودية لحقوق الإنسان، والانتماء الى جمعية سياسية وحقوقية غير مرخصة. ومن المنظمة «غير المرخصة» نفسها كانت السلطات السعودية قد اعتقلت محمد البجادي وعمر السعيد وعبد الكريم الخضر وفوزان الحربي، ووجهت محكمة الرياض الجزائية تهماً لهم شرّعها «قانون الإرهاب» المقر في 31 كانون الثاني/ يناير 2014 كـ«الخروج على ولي الأمر» (المادة الثانية) و«وصف نظام الحكم السعودي – ظلماً وتعدياً – بأنه نظام بوليسي» (المادة الحادية عشرة).

بعد ثلاثة أيام من بدء العمل بـ«قانون الإرهاب» الذي أنشأ إطاراً قانونياً يجرم كل أشكال الفكر المعارض أو التعبير عن الرأي بوصفه إرهابا، أصدر الملك عبد الله الثاني الأمر الملكي رقم 44 الذي يجرم «المشاركة في أعمال قتالية خارج المملكة»، ليؤكد على التزام بلاده بالحرب على الإرهاب.

تلازم القانون والأمر الملكي، يعكس قدرة المملكة على العمل وفق أسلوب «ضربة على الحافر وأخرى على المسمار»: تعتبر أنها تفي بالتزاماتها الخارجية.. لتفلت يدها داخلياً.

لا تبدي الولايات المتحدة أي اعتراض على ذلك، بل تباركه. مستشارة الأمن القومي سوزان رايس عبّرت عن ذلك بشكل واضح حين قالت في خطاب لها في كانون الأول/ ديسمبر الماضي «دعونا نكون صادقين: في بعض الأحيان نعمل مع حكومات لا تحترم الحقوق التي ندافع عنها بشدة (..) نحن نبحث في التحديات الأمنية للربيع العربي ونساعد الشركاء لإرساء الأسس لمستقبل متجذر في مزيد من السلام والفرص والديموقراطية واحترام حقوق الإنسان». لواشنطن قائمة أولويات إذاً، تبدو حقوق الإنسان والناشطين في آخرها.

في هذا، فما يدعو للاستغراب هو إصرار عدد كبير من الناشطين الذين تعرضوا للسجن مراراً في السعودية على اللجوء الى الولايات المتحدة لإثارة قضاياهم على أمل أن يؤدي ذلك الى ممارسة الضغط على حكام السعودية، كما قال الباحث في قسم الشرق الأوسط في «هيومن رايتس ووتش» آدم كوغل، في مقال نشره في مجلة «فورين بوليسي». يغدو الأمر وكأنه «تسول» للحصول على مساعدة من طرف (الولايات المتحدة) يبدي باستمرار عدم رغبته بأن يفعل أي شيء، على الرغم من «قدرته». ومفهوم القدرة هنا يلتبس عند الناشطين المطالبين بها، فيتعاملون مع الولايات المتحدة كمخلِّص عليهم إقناعه بالرأفة بهم طالما أن حركتهم وأقوالهم تطابق ما يدعي مناصرته ليلاً ونهاراً. طبعاً بلا طائل! فـ«هناك» تحسب الأمور بشكل مختلف... إلى أن يصبح من مصلحة واشنطن أخذ نضالات هؤلاء النشطاء وتقارير هيومن رايتس ووتش وسواها بالاعتبار. لا بديل سحرياً عن كسب الناس (محلياً بداية) إلى هذه القيم، لجعل الحكام عاجزين عن تجاهلها.

آدم شمس الدين

السفير العربي

قضية

مليار دولار هي قيمة الصفقة العسكرية التي رفضت ألمانيا التكفل بحصة 30 في المئة منها لمصلحة إسرائيل. وأعرب البرلمان الألماني عن استحالة موافقته على صفقة كهذه بعد انهيار محادثات السلام بين إسرائيل وفلسطين نتيجة لإصرار الأولى على مواصلة بناء المستوطنات.

السيطرة على الأنظمة عبر الليبرالية الاقتصادية والعولمة

يعتقد المحللون السياسيون الغربيون وزملاؤهم «المتغربون» من الشرقيين، أن المعيار الأساسي الذي يتعامل به الغرب مع الدول الأخرى هو الديموقراطية وحقوق الإنسان. فالدول التي لا تتبع «الأصول الديموقراطية» تتراوح بين المعادية جداً (كوريا الشمالية) وقليلاً (تايلندا)... إلا أن قراءة أكثر واقعية للعلاقات الخارجية لأكثر الدول الغربية تضع الشرخ في مكان آخر، أي في الحلقة الاقتصادية وليس في الحلقة السياسية. ففنزويلا بلد معادٍ للولايات المتحدة بالرغم من ديموقراطيته، لأنه أمّم صناعاته النفطية، أما المملكة السعودية والمغرب والملكيات بشكل عام، فهي تُعَدّ بلداناً صديقة رغم عدم ديموقراطيتها. ويكون بشار الأسد يوماً ضيف شرف فرنسا في عيدها الوطني، ويوماً آخر عدوّها. أما السلطة الجزائرية التي انتقدتها بقسوة كل جمعيات حقوق الإنسان في العالم، فيغضّ الغرب النظر عنها. هناك أمثلة ساند فيها الغرب الديموقراطية بوجه الاستبداد، وأمثلة عديدة أخرى دعم فيها الاستبداد بوجه الديموقراطية أو بوجه استبداد آخر... المقاربة الوحيدة ربّما لفهم سياسة الغرب الحالية هي مدى انخراط الدول في العولمة والليبرالية الاقتصادية.

فتّش عن الاقتصاد

بعد ثلاثة عقود على «اتفاقات» ريغان وتاتشر، فرضت الليبرالية الاقتصادية نفسها بشكل متفاوت على أنظمة العالم برمّتها، سواء المتطورة أو تلك التي على طريق النمو. المسألة الأوكرانية الراهنة هي أوضح مثال على ذلك، إذ يحاول حلف الأطلسي توسيع حدوده باتجاه روسيا من دون اللجوء إلى أي حرب، وإنما من خلال اتفاقيات اقتصادية بين الدول الأوروبية وصندوق النقد الدولي من جهة، والسلطات الأوكرانية المؤقتة من جهة أخرى، بحيث تطبق أوكرانيا القوانين الاقتصادية الليبرالية من رفع الدعم والخصخصة الخ... واستناداً إلى التجارب السابقة، سيؤدي هذا الاتفاق، الذي عرض على مجلس النواب الأوكراني في 21 نيسان / ابريل، إلى وضع البلاد تحت الوصاية مقابل 18 مليار دولار ستحصل عليها كقروض من الغرب وصندوق النقد الدولي. ويسعى الغرب الى ذلك ولو بطرق غير ديموقراطية ومن خلال الإطاحة بنظام منتخَب (عفناً كان أم لا). وتؤدي هذه السيطرة إلى إلغاء منطق العداوة، فيُنعَت حامل السلاح بالمجرم والمتخلّف حتى ولو دافع عن وطنه أو قبيلته، ويصبح «المجتمع الدولي» - المكوّن بشكل أساسي من الدول الغربية المنتقِدة - المؤهل الوحيد لاسترجاع الحقّ. فهو تارة يدعم الشعوب في حق تقرير مصيرها، كما حصل في السودان الجنوبي، وتارة أخرى يضرب بعرض الحائط المبدأ ذاته ويعطي الأولوية لوحدة الأراضي وسلامتها، كما في أوكرانيا.

لماذا يستطيع الغرب، أو بالأحرى لماذا تعتقد قياداته أنها تستطيع الانتصار في أوكرانيا وفنزويلا وتايلندا ومصر وإيران من دون اللجوء إلى الحرب، وبالرغم من كل مشاكل الدول الأوروبية الداخلية من بطالة ودَين ونمو، بالإضافة إلى المشاكل البنيوية الديموغرافية والاجتماعية؟

من الواضح أن الحروب لم تحقق أهدافها في السنين الأخيرة، إذ لم تؤد إلى السيطرة الفعلية على الدول المهزومة (العراق، أفغانستان، ليبيا، أفريقيا الوسطى...)، بالإضافة إلى أن ديون الدول الغربية أجبرتها على تخفيض ميزانيات الدفاع لديها بنسب وسرعة مذهلين. وهكذا، فما تبقى كرهان هو في المجال الاقتصادي، حيث يمتلك الغرب تفوقاً نوعياً.

تعاليم واشنطن العشرة

أدّت الليبرالية الاقتصادية إلى انخراط أكثر الدول في السوق العالمية، حتى لو متأخرة، كالصين سنة 2001 وروسيا سنة 2012... فتشابكت مصالح الدول مع بعضها، حتى أن منظمة التجارة العالمية تعتبر ذلك من أهم إنجازات السلام في العالم، إذ لا توجد مصلحة لأية دولة في أن تعادي عسكرياً الدول الأخرى، فيؤدي ذلك إلى انهيار مصالحها هي نفسها بمقدار مصالح الدولة «العدوة» أو «المنافسة»، إن لم يكن أكثر. أما كيف ولماذا يحصل هذا التشابك في المصالح، فيعود إلى جوهر تعاليم الليبرالية الاقتصادية وشروطها المطلوبة / المفروضة، كما حصل في أميركا اللاتينية، وكما هو مفروض أن يحصل في مصر وأوكرانيا. يترافق هذا التشابك مع كل التغييرات الاقتصادية البنيوية الداخلية والعالمية التي مهّدت له، نتيجة تطبيق تعاليم واشنطن العشرة. فمن المؤكد أنها:

- أضعفت الحكومات وخاصة إمكانية تأثيرها في السياسة الاقتصادية، نتيجة خصخصة أكثر شركات القطاع العام من كهرباء وهاتف ومياه وحتى الصحة والتعليم... وانخفاض مصاريف الدولة بعد خفض المساعدات عن المواد المدعومة كالطاقة والخبز والصحة... الخ.

- أصبحت تعتمد أكثر على الخارج وخاصة من ناحية الحاجة إلى الرساميل الأجنبية. فالتخصص في بعض القطاعات المصدرة يتطلب الكثير من الرساميل لرفع تنافسية البضاعة المصدَّرة إلى الأسواق العالمية، ويتم ذلك على حساب قطاعات أساسية أخرى (من غذاء وصحة وطاقة...) يتم استيرادها وتؤدي إلى عجز كبير في الميزان التجاري، أي إلى اعتماد أكبر على الخارج.

إضعاف هذه الحكومات يسمح بنمو سريع جدا وغير مسبوق لرأسمالية خاصة وثروات فردية تقدر بالمليارات (أقل من عقدين).

- إضعاف وحدة الدولة من خلال «إقليمية» مبنية على معايير «موضوعية» من اثنية ودينية...، تستيقظ نتيجة عدم قدرة الحكومات على إعادة تدوير الرساميل من المناطق الغنية إلى المناطق الفقيرة. فأكثر ما تؤدي إليه الليبرالية هو ارتفاع عدم المساواة وتفتت الوحدة الوطنية.

في الواقع، فإن صعود أهمية الرأسمالية الخاصة في القرار السياسي المباشر، وإضعاف مكونات الدولة عبر «الأقلمة»، وإضعاف القطاع العام، كل ذلك يسمح للغرب / المجتمع الدولي بتحسين شروط علاقاته مع البلدان الأخرى وخاصة الاقتصادية منها. وهذا التدهور في شروط التعامل يقاس باحتساب قيمة السلع المصدرة بالنسبة للسلع المستوردة (عدد براميل نفط مقابل سيارة)، وبالتالي امتصاص قسم من الفائض المنتَج في تلك الدول.

يبقى أن كل ذلك بحد ذاته لا يمكّن الدول الصناعية من السيطرة على البلدان وأنظمتها، وكل ما يؤدي إليه عند حصول أزمة هو حظر التعامل مع تلك الدول من خلال فرض قيود على الاستيراد والتصدير، كما حصل مع العراق وإيران وكوبا... فالسيطرة الفعلية المباشرة، أو على القرار السياسي، لا يمكن أن تتم إلا من خلال الحلقة المالية، أي من خلال «تخصص» الغرب في القطاع المصرفي. فالمسيطرون على المصارف والعملات الصعبة يستطيعون تجميد أموال الحكومات (إيران، عراق صدام...) وإلغاء الاستثمارات الأجنبية في البلد (تركيا مؤخراً والبيرو وفنزويلا...). بل، وهذا هو ربما الأخطر سياسياً، يستطيع الغرب من خلال التجميد أو التهديد بتجميد أموال بعض السياسيين «المليارديه» السيطرة على القرار السياسي المباشر، كما حصل في أوكرانيا مؤخراً.

حتى ذلك ما كان ليؤثر كثيراً قبل العقدين الأخيرين، لولا دخول هؤلاء «المليارديه» (التي صنعتهم الليبرالية الاقتصادية نفسها) معترك الحياة السياسية وحصولهم على أعلى المناصب السياسية أو تشكيلهم كتل ضغط سياسية كبيرة (تركيا، لبنان، تايلندا، أوكرانيا، فرنسا، اليونان، المغرب العربي...). حتى أن ميتران قال: «سأكون آخر رؤساء الجمهورية الفعليين. فبعد وفاتي لن يكون هنالك إلا رجال مال وحسابات»، وإذا أضفنا إلى ذلك ظاهرة جديدة تنتشر، وتتعلق بإعطاء المناصب القيادية والاستشارية في وزارة الاقتصاد والبنك المركزي إلى موظفين سابقين في الشركات المالية الانغلوسكسونية، نفهم أن السيطرة ليست مالية فقط بل فكرية أيضاً.

العولمة ليست اقتصادية فقط بل طالت بشكل أساسي أيضاً عالمي الاتصال والتواصل الاجتماعي. وما فَضحه سنودن من تنصّت على القيادات في العالم (حتى على الأصدقاء) يظهر مدى سيطرة الولايات المتحدة الأميركية بالتحديد على وسائل الاتصالات في العالم وعلى مراكز القرار. ومن ناحية أخرى رأينا أهمية فايسبوك وتويتر وغوغل وأقرانهم في تحريك الشارع وضعضعة الأنظمة، سواء أكان ذلك في العالم العربي أو في تركيا أو في الصين.

باختصار، فإن الليبرالية الاقتصادية والعولمة أدت إلى غلبة قوانين السوق على حساب قرارات الحكومات، بل أصبح من الواجب والضرورة أن تتلازم قوانين الحكومات مع قوانين السوق، ما يعني اختفاء القرار الوطني الاقتصادي. وهذا، مدعوماً بالتجسس وعدم السيطرة على وسائل الإعلام، يسمح للغرب بالسيطرة على قرارات حكومات كثيرة. وإذا اضطر الأمر، بعد حصار اقتصادي ومالي طويل، الى قلب أنظمتها مستعينة بمثقفين من داخل السرايا. والحرب بالوكالة أكثر الأحيان ليست إلا الوسيلة الأخيرة بعد اهتراء النظام، لتفتيت الدولة وإخضاع أطرافها كافة.

خلاصة

أدت العولمة، من خلال الليبرالية الاقتصادية، إلى إضعاف الكثير من الدول وإخضاعها للسوق العالمي حتى باتت قرارات سيادية كثيرة تؤخذ من الخارج. إلا أن العولمة أصبحت أمراً واقعاً ولا يجب أن نرمي «الطفل مع ماء الغسيل»، كما يقول المثل الفرنسي، أي عدم التخلي عن بعض حسنات العولمة، بل أسوة ببعض الدول، أن نخلق القوانين والأطر التي تمنع الخارج من السيطرة على السياسة الاقتصادية وعلى الاقتصاديين... فمواقع القرار الأساسية المتعلقة بكرامة العيش («الحد الأدنى للأجور»)، والأكل والطاقة والصحة، لا يجب أن تكون خاضعة لقرارات صندوق النقد الدولي والمصارف، ولا يجب السماح للقطاعات الأساسية التي تمثّل المصلحة العامة أن تخرج عن سيطرتها. ويجب أن يعلن المرشحون للمناصب العليا عن ثرواتهم وأن لا يسمح بتضارب المصالح بين المنصب العام والشغل الخاص. ولا بد من إخضاع كل الشروط الاقتصادية المفروضة من الخارج لقرارات مجلس النواب أو للجنة خاصة تدرس مدى تلاؤم تلك القرارات مع السيادة الوطنية. لا ريب في أن كل ذلك سيحسّن من القرار السيادي، إلا أن تحصينه لا يمكن أن يتم في المنطقة العربية إلا من خلال سوق عربية مشتركة تمنع التفتيت.

كاظم الداخل – العراق

شبل السبع
أستاذ الاقتصاد في جامعة السوربون – باريس

السعودية: أيكون سابعهم آخر الملوك غير الدستوريين؟

الصدفة وحدها لا أسرار الرقم سبعة، هي ما سيجعل تسلسل الملك السعودي السابع حدا فاصلا بين جيلين من الملوك: جيل الأخوة، وجيل أولادهم. كما هي الصدفة وحدها التي جعلت عدد أبناء السيدة حصة السديري الذكور سبعة، كما هو حال عدد من أنجبتهم من البنات أيضا، على اعتبار أن الملك السادس، عبد الله بن عبد العزيز يبلغ من العمر 90 عاماً، والحالة الصحية لولي عهده الأمير سلمان (77 عاما) هي الأخرى ليست على ما يرام، ومن المرجح ألا يجد مجالا لشغل كرسي المملكة وصياغة نهج خاص به لسيرها اللاحق، بالرغم من مكانته وأهميته الاستثنائية، كونه عمل حتى قبل ولايته للعهد كأمين سر العائلة الحاكمة، ورئيس مجلسها، وهو المستشار الشخصي المتواتر للوك المملكة، وفوق ذلك كله انحداره من سلالة حَصة السديري، وبالتالي فهو احد أعضاء مجموعة السديريين السبعة الذين كانوا هم وأبناؤهم أصحاب الثقل الغالب في الدولة خلال العقود الأربعة الأخيرة.

خصوصية الملك عبد الله

يبدو أن القدر منح ولاية الملك عبد الله التي ابتدأت العام 2005 خصوصية. فقد أتيح للرجل ما لم يتح لأسلافه من الملوك الخمسة، بمن فيهم أبوه عبد العزيز آل سعود الملك المؤسس، إضافة لإخوته الملوك غير الأشقاء، سعود وفيصل وخالد وفهد. فهو الأطول عمرا بينهم وبالتالي الأكثر احتكاكا بشؤون السلطة والحكم، حيث عينه الملك فيصل منذ العام 1964 رئيسا للحرس الوطني وبقي في المنصب حتى بعد توليه الملك، ولم يتركه إلا ليتولاه ابنه متعب الذي يريده أن يكون احد المرشحين الأقوياء لتولي حكم المملكة من بين أمراء الجيل الثاني.

ابتداءً، لم يكن ترشيح الملك عبد الله لولاية العهد ممكنا، إذ لم يكن السديريون يقبلون أن يفلت الملك من قبضتهم، لولا القاعدة المادية والمعنوية القوية التي كونها الرجل لنفسه أثناء فترة قيادته لجهاز الحرس الوطني، ولولا التأييد القبلي الذي حظي به من أخواله في قبيلة شمر، لأن والدته الأميرة فهدة تنحدر من أعيان شيوخها آل رشيد، زعماء إمارة حائل التي غدر بها عبد العزيز آل سعود في بداية التدشين السعودي وبدعم بريطاني يراد منه كنس أي نفوذ آخر، بما فيه ذاك العثماني، ينافسهم على التحكم بمصير المنطقة برمتها. بمعنى أن الملك عبد الله هو الأكثر تمرسا بشروط لعبة الحكم والأشد إدراكا لها، وبالتالي الأكثر تحوطا من غدر الأخوة غير الأشقاء، الذي يضاهي بقسوته أحيانا غدر الأعداء. فالسلطة بكل هليمانها وتملكها الحصري في عمود نسل الحاكم، هي الشغل الشاغل لكل من تربع على قصور المملكة ودواوينها في الرياض وأقرانها من مناطق المملكة، ومن ثم تأتي مشاغل الرعية وكيفية خصي تطلعاتها المناوئة، بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى. كل هذا بالتوازي مع الاستعداد الكلي للتخادم مع مصالح الدول الكبرى، والاستعانة بها حفاظاً على سلطانهم، حتى لو كان الثمن رهن الأرض وما فوقها وتحتها.

المناصب المهمة، وبالأخص العسكرية والأمنية، تتيح لأمرائها جمع الثروات الطائلة من صفقات التسليح والتجهيز وما تدره من ريع، وما تتيحه من سهولة استقطاب المريدين وتكوين مراكز القوى الضاغطة لانتزاع المزيد، وبالتالي تخليد مصادر تلك المناصب والمكاسب وتوريثها للأبناء والأحفاد... لم يقم الملك فهد بإصدار قرار تعيين عبد الله وليا لعهده راضيا مرضيا، لكنه لم يجد بداً من ذلك، وعلى علمه وقتها بأن أشقاءه سلطان ونايف وسلمان سيتلقفونها من بعده، وسيعيدونها مجددا صافية لأحفاد السديريين. لكن سلطان ونايف فارقا الحياة، ولم يبق إذاً من السديريين الأوائل إلا سلمان، ولي العهد.

النَسَب بحسب الأمهات!

الفرصة سانحة حاليا للملك عبد الله لتمهيد الطريق أمام مراكز قوى جديدة تكون صمام أمانه لإنهاء سطوة الجيل الأول من السديريين وقطع الطريق أمام جيلهم الثاني، واستبدالها بسطوة المتفرقين من أبناء الأميرة فهدة الرشيد الشمرية والأميرة بركة اليمنية والدة الأمير مقرن، الذي عينه الملك عبد الله وليا لولي العهد الامير سلمان، ليقطع عليه طريق أي محاولة يتبناها بدفع من أمراء الجيل الثاني من السديريين، إذ يُتوقع أن يُحث على تعيين أخيه الشقيق الأصغر الأمير أحمد، وهو آخر المتبقين من السديريين الأوائل. وليس غريباً على الملك عبد لله أن يفتح الطريق أمام أبناء الأميرة منيرة ذات الأصل الأرمني، والتي ينحدر منها الأمير طلال بن عبد العزيز والد الامير الملياردير الوليد بن طلال.

أهداف متعددة للتعديلات الجارية

يعتبر تعيين الأمير مقرن بن عبد العزيز وليا لعهد ولي العهد الحالي، قراراً غير مسبوق، وهو من زاوية أخرى خرقا لنظام البيعة الذي أصدره الملك عبد الله في بداية حكمه، والذي تنص بنوده على أن للملك الجديد وحده الحق بتعيين ولي العهد بعد التصويت عليه في هيئة البيعة التي تجمع كل أبناء عبد العزيز أو من ينوب عنهم من ابنائهم والبالغ عددهم 34 أميرا. لكن الملك عبد الله استبق الموقف، لأنه أشار في هامش قراره الملكي الخاص بهيئة البيعة، على أن نظامها هذا ينفذ بعد عهد الملك الحالي وولي عهده. وبالرغم من ذلك، فان قرار تعيين مقرن قد حاز على موافقة ثلاثة أرباع أعضاء الهيئة، وبالتالي فسيعمل الملك على إضعاف نفوذ من لم يتوافق مع ما يرمي إليه. وهذا ما تحقق فعلا من خلال حركة التغييرات الجديدة في الوظائف والمناصب الهامة، وهي لا تثير الشبهات بحكم كونها متزامنة مع نظام الاستبدال الوظيفي المتبع في السعودية كل أربع سنوات. وقد حاول الملك إعطاء صبغة إصلاحية للتغييرات الوظيفية الجديدة ليضرب بذلك عصافير عدة بحجر واحد. فمن ناحية يعيد ترتيب الأوراق التي بعثرتها موجة الغضب الشعبي في المملكة ازاء سياسة كتم الأنفاس المتفاقمة، والتي عززتها التحركات الشعبية في معظم دول الإقليم، وأيضا تزايد معدلات البطالة الفعلية التي تقدر بأكثر من 45 في المئة، محسوبا ضمنها القادرات على العمل من النساء وتحديدا المتخرجات، وغياب التنمية الحقيقية التي تعود على المواطنين بالرقي مع فشل أغلب المعالجات كما هو الحال مع برنامج السعودة. ويبدو أن قرار الأمير متعب وزير الحرس الوطني بقبول تجنيد المتطوعات في صفوف الحرس خطوة لمعالجة بعض الفشل في بلاد تتعدى صادراتها النفطية العشرة ملايين برميل يوميا. وهي تضخّم المفارقات، فملك البلاد يتصرف على انه مالكها، ويكفي أن تكون ثروته الشخصية تقارب 18 مليار دولار، وهو غيض من فيض ما خفي بين دهاليز غابة من الأمراء لا يقل عددهم عن 7000 أمير.

الظهور بمظهر التماسك والتجدد أمام تحديات الفشل في المواقف الإقليمية والدولية، كالانشقاق في المواقف الخليجية، والتورط في الحرب السورية، والفشل في صياغة تناغم مع المواقف الأميركية إزاء إيران، وما يبدو من تخلي السعودية حتى شكليا عن موضوعة الصراع العربي الإسرائيلي لتصبح سياستها عموما تدور حول الترويج لصراع بديل هو الصراع الإيراني العربي.

لقد عين الملك عبد الله المعنيين والأكاديميين على رأس بعض الوزارات والمؤسسات، وعين لأول مرة امرأة بمنصب نائب وزير، وعين بعض المعتدلين على رأس هيئة القضاء الأعلى وهيئة الأمر بالمعروف، وعين أحد المسلكيين من خارج الأسرة الحاكمة رئيسا لجهاز الاستخبارات العامة بديلا من الأمير بندر بن سلطان، وهو في الوقت نفسه عزز من نفوذ أولاده الأمراء: متعب كقائد عام لقوات الحرس الوطني، ومشعل أميرا لمنطقة مكة المكرمة، وعبد العزيز نائبا لوزير الخارجية، وفيصل مستشارا في القصر الملكي.

ملكية دستورية؟

نرجع للسؤال الذي حمله العنوان: أيكون الملك مقرن بن عبد العزيز آخر الملوك غير الدستوريين في المملكة؟ لاسيما أن هذا الطرح الإصلاحي يبدو راديكاليا بالنسبة للمتشددين من الأمراء، وواقعياً بالنسبة لغيرهم ومنهم الأمير طلال بن عبد العزيز الذي طالب علنا بإعادة مأسسة الدولة على أسس دستورية يخضع لمنطوقها كل ملوك وأمراء الأسرة الحاكمة، بحيث تنتهي معها معالم الحكم المطلق وتنتقل صلاحيات الإدارة العامة إلى حكومة منتخبة بصلاحيات معقولة ومقبولة شرعا ودستورا، على اعتبار أن العالم يتغير، وحاجة أميركا للنفط السعودي تنحدر مع صعود البدائل والاكتفاء الذاتي، وهي قد لا تمانع في التغيير، وقد لا يعوّل عليها في توفير حماية للقائم مهما كان الثمن...

جمال محمد تقي
باحث من العراق مختص بشؤون الخليج العربي

الأذكياء والتاء المفقودة

سرنا في مظاهرة، فقال لنا الأذكياء إن المظاهرات لا جدوى منها لأننا لسنا حزباً سياسياً مؤثراً. رجعنا إلى البيت وكتبنا على الفايسبوك فقال لنا الأذكياء إن هذا لا جدوى منه لأننا لسنا حزباً سياسياً مؤثراً. أسسنا حزباً فقيل لنا إن الحزب ليس كبيراً، وأنه لابد أن يكون الحزب كبيراً ومؤثراً.

قررنا أن نؤسس حزباً سياسياً مؤثراً، ذهبنا للجنة الأحزاب وسألناهم عن الأحزاب المؤثرة، فأشاروا لنا إلى باقة الأحزاب المؤثرة وكانت تضم حزب الإسلام وحزب الجيش، وباقة الأحزاب غير المؤثرة وكانت تضم كل ما عدا ذلك. سألناهم عن إمكانية الانضمام لباقة الأحزاب غير المؤثرة والتحويل بعدها إلى باقة الأحزاب المؤثرة، فقال لنا الأذكياء إن هذا غير ممكن، لأن الأحزاب المؤثرة تولد مؤثرة وغير المؤثرة تولد غير مؤثرة. سألناهم عنا، ماذا يرون فينا، هل ولدنا لنكون مؤثرين أم لنكون غير مؤثرين، فضحكوا وقالوا غير مؤثرين. سألناهم وماذا نفعل؟ قالوا لنا انضموا إلى الأحزاب المؤثرة. وهذا ما حدث، انضم بعضنا إلى حزب الإسلام وانضم بعضنا الآخر إلى حزب الجيش.

هذا ما حدث، وبما أننا جميعاً في أحزاب مؤثرة الآن فقد قررنا أن نؤثر. عارض بعضنا سياسات حزب الإسلام من داخله وبعضنا الآخر عارض سياسات حزب الجيش من داخله. ولكن الأذكياء داخل كل حزب قالوا إن معارضتنا بلا جدوى لأننا لسنا مؤثرين. قلنا لهم كيف هذا ونحن في أحزاب مؤثرة. قالوا لنا إن هذا لا يكفي، وإنه حتى نكون مؤثرين فيجب علينا أن نسمع كلام من هم أكبر منا. قلنا لهم إن هذا خطأ منطقي، فأن نسمع الكلام هو العكس المطلق من أن نكون مؤثرين. وجموا قليلاً وقالوا لنا، هل قلنا مؤثرين، عفواً، نحن نقصد متأثرين، هناك تاء سقطت. وجمنا نحن أيضاً، سألناهم، وهل هذه التاء سقطت من البداية خالص؟ قالوا لنا، تقصدون ماذا بالبداية؟ قلنا لهم، من البداية خالص أخبرنا أشخاص أذكياء، مثلكم تماماً، أننا لابد أن نكون مؤثرين. قالوا لنا هذا احتمال كبير، فنحن كأذكياء لنا لغة خاصة بنا، وجميعنا نخطئ الأخطاء اللغوية نفسها. هذا أمر شائع بيننا كأذكياء. قلنا لهم إن الأذكياء لا يرتكبون أخطاء في اللغة. فقالوا لنا إن كلامنا غير مضبوط، لأن الذكاء والغباء أمران نسبيان، وأننا لا نعرف هذا لأننا لسنا أذكياء، ثم من أنتم حتى تخبرونا ماذا نقول وماذا لا نقول، هل نسيتم أنكم أصلاً غير مؤثرين.

(نص نائل الطوخي ورسم محمد مخلوف)

السفير العربي

متابعات

83.5 في المئة هي نسبة تراجع الدعم والتمويل الخارجي للسلطة الفلسطينية خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام الحالي، بحسب تقرير نشرته وزارة المالية الفلسطينية، وهو بلغ 243 مليون دولار مقابل 1.48 مليار دولار في العام الماضي. وتتصدر المملكة العربية السعودية وقطر الدول العربية التي تمول الموازنة الفلسطينية.

حضرموت: إقليم الثروة والمؤشر على الخطر

أبرز نتائج «مؤتمر الحوار الوطني» إعلان اليمن دولة اتحادية أو فيدرالية من ستة أقاليم، اثنان منها في الجنوب وأربعة في الشمال. القرار العجول اتخذ بمباركة من «المجتمع الدولي» والدول الإقليمية الراعية لـ«المبادرة الخليجية»، الإطار المرجعي لما يجري حاليا في اليمن. والاعلان لا يقبل النقض، مما يخالف المبادرة الخليجية نفسها ومخرجات الحوار الوطني التي تنص على خضوع قرارات كهذه للاستفتاء لأنها ترسم مصير اليمن بملايينه ال25. لم يراع التقسيم المعتمد العوامل الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسكانية والتاريخية، بل كان سياسيا بامتياز. والأقاليم هي عدن وحضرموت في الجنوب وآزال والجند وسبأ وتهامة في الشمال. تنشر «السفير العربي» تباعا ملامح كل واحد من تلك الأقاليم. بعد آزال وعدن، هذا إقليم حضرموت.

الإمكانات والنفوذ

لا يتعلق الأمر فحسب بمعادلة المساحة والسكان. فحضرموت هو أكثر الأقاليم احتواء على ثروات طبيعية كالنفط والغاز المسال، والمياه. وهو يمتلك السواحل الأكثر امتداداً على بحر العرب والمحيط الهندي. وتمتد حضرموت داخليا على الحدود المتاخمة لسلطنة عُمان شرقا، والسعودية شمالا، أي على طول منابع سعادة الخليج النفطية.

لم يكن هذا الإقليم بعيدا في أي فترة عن مواقع صنع القرار اليمني خلال ربع قرن من الوحدة، فخمسة من رؤساء الحكومات اليمنية من أصل سبعة ينحدرون من محافظتي شبوة وحضرموت. والإقليم يتمتع بوزن من العيار الثقيل عند رفع أي مطلب رسمي، إذ يسعى الجميع للإصغاء لمطالب أبنائه. وعندما انطلقت فيه قبل أشهر انتفاضة شعبية عرفت بـ«الهبة»، لم يكن من الرئاسة اليمنية إلا السعي لإرضاء أبنائه وتوفير مبالغ ضخمة من المال والعشرات من قطع السلاح والسيارات، وفقا للأعراف اليمنية التي «تُحكِّم» المتضرر من تصرفات الطرف المعتدي، وبالتالي تمنحه حق اتخاذ القرار في موضوع الخلاف.

المئات من أثرى رجال الأعمال السعوديين والخليجيين من أصول حضرمية، بمن فيهم بعض أعمدة اقتصادات الخليج، كعبد الله بقشان وبن لادن وبن محفوظ، وحتى في شرق أفريقيا كالملياردير العمودي، كما أن عشرات الآلاف من أبناء محافظات الإقليم مغتربون في دول الخليج المختلفة وإن كانوا يعملون في التجارة والقطاع الخاص السعودي مثلا، فإنهم أيضا يشغلون وظائف رسمية في الإمارات وقطر والبحرين، معظمها في سلك الشرطة والجيش. فالأسرة الحضرمية لا تعتمد إلا قليلا على عوائد مالية محلية في حياتها، وفي حال قرر عدد من هؤلاء استثمار جزء من أموالهم في هذا الإقليم، فإن الثروات الطبيعية التي يكتنفها تعد فائضا لا حاجة ملحة لاستخراجه من مرقده تحت أقدام أبنائه. وإلى كل ذلك، يوجد في الاقليم أهم مشروع اقتصادي يمني أنشئ في القرن الجديد وهو ميناء بلحاف لتصدير الغاز المسال.

وكما صدَّر هذا الإقليم للعالم ألحان المحضار، وروائع أبو بكر سالم بالفقيه، وتراث علي أحمد باكثير، من روايات ومسرحيات، فقد صدَّر أيضا أسامة بن لادن وأنور العولقي اللذين قتلا بأياد أميركية بعد أن شغلا صدارة قائمتها لأخطر الأشخاص في العالم على أمنها. وبالمقابل، فالأب الروحي للفكر الاشتراكي الماركسي الذي حكم الجنوب قرابة عقدين (قبل 1990) هو باذيب الأب (نجله وزير في الحكومة الحالية). لكن حضرموت كإقليم لا يصدر المرارة للعالم رسميا، بل يحتكر صنفين من أهم 3 أصناف للعسل اليمني العالي الجودة، هما عسل الدوعني والجرداني اللذين تغنى بهما الفنان بافقيه، وعدد من الإبل التي تفوز في مسابقات الهجن الخليجية، خاصة في الإمارات، تنحدر من المهرة. والمهرة محافظة يمنية هي لشدة هدوء أهلها وسلامهم الاجتماعي لا يكاد احد يسمع بها على الاطلاق، لا محليا ولا خارجيا.

القاعدة التي أسسها أسامة بن لادن (بجنسيته السعودية) لم تكتف بالانتشار العالمي بل قررت أن يكون لها موطئ قدم على أرض المؤسس، فأنشأت إحدى إماراتها الإسلامية في عزان (محافظة شبوة) في 2011، قبل أن يتم إخراجها منها عسكريا. إلا أن ذلك لم يكن غير جولة من معاركها المستمرة مع الجيش والأمن اليمني الذي فقد العشرات من أفراده في هجمات القاعدة على مقراته الأمنية والعسكرية خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، بل وصلت قوة القاعدة إلى أن سيطرت على قيادة «العسكرية الأولى» في المكلا (عاصمة الإقليم) لأكثر من 23 ساعة.

ملامح دولة مستقبلية

خلال العقدين الأخيرين ردد الكثيرون من نخب صنعاء واللاعبين في الشأن اليمني، بأن السعودية لديها طموحات تاريخية في مد أنابيب تصدير النفط السعودي إلى سواحل البحر العربي عبر ميناء المكلا، هربا من التهديدات الإيرانية لمضيق هرمز، الممر النفطي الهام الفالت من قدرة المملكة على تأمينه. علاوة على ذلك، فان التقارب في معدلات الثروة والسكان والثقافة القائم بين اقليم كحضرموت وأي دولة خليجية أخرى يزيد مما يرونه مشروعا تحت الرماد. وبغض النظر عن كل ذلك، وسواء أكان تحليلاً أم خيالاً، فان حضرموت (المحافظة) تتمتع بنزعة هوية متفردة عن باقي اليمن شمالا وجنوباً، ويتحدث الناس هناك دائما عن «الشعب الحضرمي» حتى في الأحاديث اللاسياسية أو العابرة.

مع إعلان حضرموت إقليماً من أربع محافظات، أصدرت المكونات السياسية في المهرة بيانا رافضا لضمها إلى حضرموت، إحدى مسوغاته أن اسم الإقليم (حضرموت) ذاته يمسح الهوية التاريخية للمهرة وسُقطرى (لا زالت هاتان المحافظتان تستخدمان لغتهما التاريخية الخاصة غير المكتوبة في أحاديثهما اليومية، إلى جانب اللغة العربية)، وطالبتا بتشكيل إقليم مستقل بهما بحسب حدودهما المعينة في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1967، أي وفق ما خطه الاستعمار البريطاني لجنوب اليمن قبل مغادرته لها، وقبل جهود دولة عدن لتوحيد 21 سلطنة ومشيخة كانت تحكم جنوب اليمن في ظل معاهدات الحماية مع سلطات الاحتلال (التي كانت تسمى أصلا «المحميات») والتي قسمت بدورها جنوب اليمن إلى قسمين (شرقية وغربية)، وكان الإقليم الحالي يدعى المحمية الشرقية.

مؤخرا، التقى الرئيس هادي أصحاب هذه المطالب من المهرة وسقطرى. ونوقش في اللقاء تغيير اسم الإقليم إلى الإقليم الشرقي لمعالجة الحساسية من تسميته الحالية. ولكن قبل ذلك، كان الحزب الاشتراكي اليمني قد تمسك برؤيته للفيدرالية من اقليمين بدلا من ستة اقاليم. ويمكن قراءة ذلك على انه نتاج لمخاوف الحزب من تعزيز نزعة التفرد الحضرمية التي تمتلك حساسية ضد الشمال والجنوب والحزب الاشتراكي نفسه.

على الرغم من كل إمكانياته الاستثنائية ليكون الإقليم المثالي، بخلاف سائر الأقاليم اليمنية، يواجه حضرموت كإقليم ضمن دولة اليمن الاتحادية القادمة (إن تمَّ ذلك) مخاطر التفكك. أكثر من ذلك، فهو قد يمنح إشارة البدء لمسابقة تحويل الأقاليم الاتحادية إلى دول مستقلة مع وجود مطامع من هذا النوع في شمال اليمن أيضا، وفي عدن. وإن كانت رغبات التفكك اليمنية – كما التوحد – لا تتشكل محليا الا بعد ان تكون صورتها قد اكتملت خارجيا.

فارع المسلمي
باحث من اليمن

حلم ..

ريما أبو غربية / فلسطين

arabi@assafir.com

ـ الأرثوذكس الفلسطينيون للإدارة اليونانية: «الأرض بتتكلّم عربي» ـ رانية الجعبري
ـ الانتخابات الرئاسية في موريتانيا: المعارضة تقاطع ـ أحمد ولد جدو والمختار ولد محمد
- يستقبل الموقع مساهماتكم واقتراحاتكم وتعليقاتكم على العنوان التالي:
تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
تابعونا على «تويتر»: السفير العربي - @Arabi Assafir

.. بألف كلمة

#مي_وملح... للأسرى الفلسطينيين

من صفحة «مي وملح» على فايسبوك

أمجد رسمي – الأردن

سامر العيساوي

120 من أصل 180 معتقلا إداريا فلسطينيا في سجون الاحتلال الإسرائيلي مضربون عن الطعام منذ 24 نيسان/ابريل، وسط صمت عربي معيب. قبل ذلك، ولعشرات المرات، أضرب الأسرى الفلسطينيون عن الطعام. آخرها في العام الفائت وسمي «الامعاء الخاوية»، أضرب خلاله سامر العيساوي لتسعة أشهر (أطول إضراب عن الطعام في العالم) وفرض على جلاديه إطلاق سراحه، يتضامن سامر مع شقيقته المحامية شيرين العيساوي المعتقلة منذ آذار/مارس 2014، بتهمة «تمرير معلومات من الأسرى لجهة معادية».

مدونات

ملاحظ الكهرباء

سألني مهندس كهرباء بعد أن عرف أني من قرية في شمال ولاية الجزيرة في السودان، عن أحوال العُبيد محمد أحمد. قلت له أنه بخير، غير أنه الآن بالمعاش. هنا بدأ المهندس يسرد لي عن فني الكهرباء العبيد، وكيف كان أصدق العاملين وأنظفهم سيرة، يوم كانت الكهرباء مضروبة بالفساد والرشوة، لا يُنجز فيها عمل إلاّ بالدفع مرتين: مرّة للموظف ومرّة للرسوم. وأضاف المهندس «ليس لنا ثقة تامة بعامل أو موظف إلاّ في العبيد محمد أحمد». نقلت تحيات المهندس للعُبيد، فبدأ يحكي لي عن الكهرباء وأيّامه فيها وتدريبه للعمّال على التوصيلات المنزليّة ولفّ الموتورات، كي تكون لهم عملاً إضافيا يُبعدهم عن الرشوة والسرقة. وحكى لي أنه في يوم، كان جالساً مع أحد زملائه في مكتب «كهرباء الحصاحيصا» تحديداً، وجاءه مواطن على درّاجة يحمل كل ما هو مطلوب منه من أوراق ونقود. تفحّصها جميعها الموظف والعبيد معه، وردّ الموظف «تعال يوم الاثنين القادم». هنا قال له العبيد «بالله ماذا ينقص هذا الرجل؟ ولماذا لا تُركب له الآن؟ والله اذا ما قمت لتركّب له الآن سأقوم أنا بالعمل على الرغم من أني لست موظفاً هنا». هنا استحى الموظف وأنجز للرجل عمله...

من مدونة «استفهامات» السودانية
http://istifhamat.blogspot.com/

السموم النووية هاجس بيئي في صحراء رفان

هنا تسليط للضوء على تفاصيل ملف حساس، لا يرهن وضع السكان المحليين فحسب، بل يطال الأجيال القادمة طالما أنّ خبراء يؤكدون أنّ الإشعاعات النووية التي لا تزال تحصد ضحاياها، خلّفت جيلاً مشوّها وستستمر تهديداتها إلى ما يزيد عن 24 ألف سنة قادمة.

الزائر اليوم لمنطقة «رڤان» والبلديات التابعة لها، يقف على خطورة الإشعاعات الناجمة عن النفايات النووية التي خلفتها سبع عشرة تجربة أجراها الفرنسيون هناك ما بين 13شباط/فبراير 1960 و16 تشرين الثاني / نوفمبر 1966، وتسببت بمقتل 42 ألف جزائري وإصابة آلاف آخرين بإشعاعات وأضرار كبيرة مسّت البيئة والسكان. ويشير عمار منصوري، الباحث في الهندسة النووية، إلى أنّ الجيش الفرنسي في تفجيراته التي حملت مسميات «اليرابيع الزرقاء والحمراء والبيضاء والسوداء»، استخدم آلاف الجزائريين وعناصر من اللفيف الأجنبي كفئران تجارب، إضافة إلى حيوانات وحشرات وطيور وبذور نباتات مختلفة، وتم ربط الضحايا لساعات مبكرة قبل كل عملية تفجير، وأتت تلك التجارب على الأخضر واليابس، وكانت بذلك أشد وطأة على سكان الجهة الجنوبية، مخلّفة آلاف الوفيات والإصابات، بينما تعيش آلاف العائلات في مناخ ملوث بالإشعاعات. وعلى الرغم من انقضاء عشرات السنين، إلاّ أنّ قطر المنطقة المحيطة لا يزال مُشّعا بصفة حادة ما دفع السلطات لحظر الدخول إليها...

من مدونة «صرخة الصحراء» الليبية
http://libya-2.blogspot.com/

ملاحظات عن القاطن في دير النحاس!

كان الترام يغطي معظم المناطق المأهولة في القاهرة. في فيلم «حياة أو موت»، يذهب الترام بالشابة إلى شارع القصر العيني ثم إلى ميدان التحرير، إلى باب اللوق ووسط البلد وإلى العتبة. وفي لقطة يعبر أمام مجمع التحرير وأمام دار القضاء العالي. ومن حديث «الحكمدار» نحصل على لمحة بأن الترام يذهب إلى روض الفرج أيضاً! يبدو أنه لم يكن هناك مكان لا يذهب إليه الترام في مصر! كان البارون امبان ـ مؤسس ضاحية مصر الجديدة ـ هو من أدخل خطوط الترام إلى القاهرة عام 1896.

السؤال اليوم: من هو الأرعن الذي قرر رفع كل هذه الخطوط من الشوارع؟ ففي الوقت الذي ما زالت فيه كل المدن الأوروبية تحتفظ بخطوط الترام التاريخية، نجد المسؤولين في مصر قد رفعوها كلها. لم يتبقَ سوى مترو مصر الجديدة الذي يقتطعون منه جزءاً جديداً سنة بعد سنة.

ومنذ أسابيع قليلة ردموا خطوط المترو في شارعيّ الثورة وعبد الحميد بدوي ورصفوا فوقها (على الرغم من أن القضبان الفولاذية هي أقيَم ما في هذه المنظومة ويكلف مدّها مبالغ هائلة، فهم حتى لم يفكّوها للاستفادة منها). كما فعلوا الشيء نفسه بخطوط المترو في شارع مصطفى النحاس، وفي خط مترو الميرغني، وقريبا سيرفع تماما ليتحول إلى كاراجات للسيارات.

من مدونة «مستنقعات الفحم» المصرية
http://mostanqa3at.blogspot.com/